الوجود الألماني على الساحل الشرقي الإفريقي كما صوّره الشعر السواحيلي

د. وائل نبيل إبراهيم عثمان

أستاذ اللغة السواحيلية وآدابها المشارك قسم اللغات الإفريقية وآدابها – كلية اللغات والترجمة – جامعة الأزهر

استطاع الألمان استعمار بعض مناطق الساحل الشرقي الإفريقي منذ انعقاد مؤتمر برلين عام ١٨٨٤م، واستمر هذا الاستعمار حتى عام ١٩١٨م، عندما هُزمت ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، ومن الممكن تقسيم هذه الفترة إلى ثلاث مراحل تاريخية: تمثلت المرحلة الأولى في استخدام الترسانة العسكرية الألمانية ضد المواطنين لإخضاعهم واستعمار أراضيهم، وقد ظهرت خلال هذه الفترة بعض الانتفاضات التي قام بها أهل الساحل، وذلك فيما بين عام ١٨٨٨م، حتى عام ١٩٠٥م، وهي المرحلة التي سبقت «ثورة ماجي ماجي».

وتمثلت المرحلة الثانية في المقاومة الشعبية ضد الألمان، وذلك فيما بين عام ١٩٠٥م، حتى عام ١٩٠٧م، وهي الفترة التي اندلعت فيها الثورة. أما المرحلة الثالثة، فهي مرحلة إكراه الشعب السواحيلي على التعايش الإجباري مع الألمان، وذلك فيما بين عام ١٩٠٨م، حتى عام ١٩١٨م، وهي مرحلة ما بعد الثورة.

وقد حفل الشعر السواحيلي بقصائد عديدة سجلت وقائع هذه المراحل التاريخية تسجيلاً موثقاً، **منها على سبيل المثال:**

• **قصيدة «حرب الألمان لامتلاك مريما»** Utenzi wa Vita vya Wadachi kutamalaki Mrima:

وهي للشاعر السواحيلي حميدي بن عبد الله بن سعيد بن مسعود البوهري (١٨٥٠-١٩٢٨م)، المولود بمحافظة تانجا Tanga، وتوفي بها، والمُلقَّب بالشيخ كيباؤ Mzee Kibao، وكان شاعراً، وعرّافاً [١]، أي أنه كان شاهد عيان على الأحداث التاريخية التي دوَّنها في قصيدته.

جاءت القصيدة على قالب أوتنزي Utenzi، وهو قالب شعري في العروض السواحيلي- كما عرَّفه واميتيلا- يتكون فيه البيت من أربعة أسطر، وكل سطر يتألف من ثمانية مقاطع، تتحد قافية الأسطر الثلاثة الأولى في كل بيت، في حين تتحد قافية السطر الرابع في أبيات القصيدة [٢].

تكونت القصيدة من ٦٣٢ بيتاً، ساردةً- كما أشار أبوعجل- أحداث استيلاء الألمان على الساحل الشرقي الإفريقي، وموضحةً أن سلطان عمان وزنجبار عندما أجَّر للألمان موانئ الساحل آنذاك إنما أجَّرها لهم للانتفاع بها في أمور الشحن البحري فقط، ولكن ما لبث الألمان أن اتخذوا ذلك ذريعة لاحتلال المدن السواحيلية المجاورة [٣].

• **وقصيدة «حرب (قبيلة) أوهيهي»** Utenzi wa Vita vya Uhehe:

وهي للشاعر السواحيلي علي بن رجب بن سعيد المرجبي Ali bin Rajab bin Said el Mardjebi، المولود في مدينة مبواماجي Mbwamaji، شمال دار السلام. والقصيدة مكونة من ٩١ بيتاً، ونُظمت عام ١٨٩٥م، على قالب أوتنزي [٤]، وتحدثت عن انتفاضة قبيلة أوهيهي.

• **وقصيدة «موت مكواوا»** Utenzi wa Kufa kwa Mkwawa:

وهي للشاعر السواحيلي موينى شوماري بن موينى كامبي Mwenyi Shomari bin Mwenyi Kambi، المولود في مدينة مبواماجي، ونُظمت عام ١٨٩٩م، على قالب أوتنزي. وهي مكونة من ١٧٦ بيتاً، وعرضت لموت مكواوا زعيم قبيلة أوهيهي [٥].

• **وشعر «دولة الألمان»** Shairi la Dola Jermani:

للشاعر السواحيلي عبد الكريم جمال الدين (... - ١٩١٢م) المولود بمدينة ليندي Lindi، وتُوفيَ

(١) Mulokozi, M.M. & Sengo, T.S.Y. History of Tanzania: .2000-Kiswahili Poetry A.D. 1000 The Institute of Kiswahili Research, University .of Dar es Salaam, 2005, p 28

(٢) Wamitila, K.W. Kamusi ya Ushairi. Chapa ya Kwanza, Nairobi: Vide~Muwa Publishers .Limited, 2006 , p152

(٣) أبوعجل، محمد إبراهيم محمد. الأدب السواحلي الإسلامي. سلسلة «آداب الشعوب» ٦. المملكة العربية السعودية: الإدارة العامة للثقافة والنشر، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وزارة التعليم العالي، ٢٠٠٢م، ص ١١٦ .

(٤) Khatib, Muhammed Seif. Chanjo, Matakwa ya Mwanamume Katika Mwili wa Mwanamke: Ulinganisho wa Ushairi wa Muyaka na Shaaban Robert. Tanzania: Taasisi ya Taaluma za Kiswahili, Chuo Kikuu cha Dar es Salaam, .2014, p50

(٥) .Ibid, p50

بها، وأبواه من جزيرة لامو Lamu، وكان والده معلماً للدين[١]. نظم قصيدته هذه عام ١٨٩٨م، وهي مكونة من ٢٧ بيتـاً [٢]، مدح فيها الألمان، داعياً لهم بالبقاء أبد الدهر.

• **وقصيدة «حرب ماجي ماجي»** Utenzi wa Vita vya Majimaji:

وهي لنفس الشـاعر السـواحيلي السابق عبد الكريم جمال الدين، ونظم قصيدته هذه عام ١٩٠٧م، على قالـب أوتنزي [٣]. وتكونت من ٣٣٤ بيتاً، مبيّنةً- كما أوضح أبوعجل- مدى اسـتغلال الألمان للشعب السواحيلي وأراضيهم، كما بينت موقف سلطان عمان وزنجبـار المعـارض آنذاك لما قام بـه الألمان من انتهاكات [٤].

• **ومجموعة من الأشعار السواحيلية، أوردها كارل فيلتن في كتابه (النثر والشعر السواحيلي):**

وهي مجموعة من الأشـعار السواحيلية أوردها كارل فيلتن Carl Velten، أستاذ اللغة السواحيلية بمعهد اللغات الشرقية في جامعة برلين عام ١٩٠٧م[٥] في كتابه (النثر والشـعر السواحيلي) Prosa und Poesie der Suaheli، (ص٣٤١-٤٠٩)، وهـي تتألف من اثنتين وعشـرين قصيـدة غنائية متنوعة القوالب، تدور حول مدح الألمان والأوروبيين بشـكلٍ عام.

• **ومجموعة أخرى من الأشعار السواحيلية، أوردها كارل فيلتن، عام ١٩١٨م، مشتركاً مع ويسترمان، في كتابه (الدراسات الإفريقية):**

وهي مجموعة من الأشـعار السـواحيلية التي أوردهـا كارل فيلتـن Carl Velten، عام ١٩١٨م، مشتركاً مع ويسترمان Westermann، في كتابه[٦] (الدراسات الإفريقية) Studien Afrikanische، حيث خصص جزءاً للقصائد السـواحيلية بدايةً من (ص١٣٥-ص١٨٣)، ضـم هذا الجزء سـبع قصائد سواحيلية متنوعة القوالب، دارت حول مدح الألمان.

• **وقصيدة «جمهورية تنزانيا»** Utenzi wa Jamhuri ya Tanzania:

وهي التي نظمها الشـاعر السـواحيلي رمضان مـواروكا (١٩٢٤-١٩٨٠م) Ramadhani Mwaruka، المولود في منطقة مزينجا Mzenga، بولايـة كيسـاراوي Kisarawe، محافظـة بواني Pwani - تنزانيا [٧].

نُظمت القصيدة على قالب أوتنزي، وتكونت من ٨٣٤ بيتاً، شـارحةً تاريخ تنزانيا منذ الحكم العماني للساحل الشـرقي الإفريقي مروراً بدخول الاستعمار الأوروبي، ثم الحرب العالمية الأولى حتى اسـتقلال تنجانيقا واتحادها مع جزيـرة أونجوجا Unguja، لتصبـح جمهورية تنزانيا المتحـدة المعروفة حالياً. وقد أفرد الشـاعر ١٨٨ بيتاً، وتحديداً من البيت رقم (١٢٠-٣٠٨) متحدثـاً فيها عن دخـول الألمان إلى السـاحل والمواجهات التي حدثـت بينهم وبين أبناء السـاحل من أمثال الشيخ بشـير الحارثي، ومكواوا Mkwawa، زعيم قبيلة أوهيهي، وإيسـيكي Isiki زعيـم قبيلة وانيامويـزي Wanyamwezi، وميلي

(١) أبو العلا، جمال توفيق. ثورة الماجي ماجي باكورة ثورات المقاومة الإفريقية. ط١، القاهرة: تاتش برس للطباعة، ٢٠٠٦م. ص ٣٧.

(٢) Ibid, p51.

(٣) Ibid, p51.

(٤) مرجع سابق ص ١١٧-١١٨. أبوعجل، محمد إبراهيم محمد

(٥) Velten, C. Prosa und Poesie der Suaheli. Berlin, 1907, pp341- 409.

(٦) Velten, C. & Westermann, D. Afrikanische Studien. Berlin: Kommissionsverlag von Georg Reimer, des Seminars fьr Orientalische Sprachen zu Berlin, Dritte Abteilung, 1918

(٧) Khatib, op cit, p 40.

Meli زعيم قبيلة واتشاجا Wachagga، مروراً بحرب ماجي ماجي، وما حدث فيها من انتهاكات.

• **وقصيدة «مكواوا»:**

وهي التي نظمها الشاعر والأديب السواحيلي شعبان روبرت (١٩٠٩-١٩٦٢م)، المولود في تانجا، جاءت القصيدة في خمسة أبيات على قالب الشعر الرباعي الذي يتكون فيه البيت من أربعة أسطر، والتي تحدثت عن شجاعة الزعيم مكواوا وبسالته.

• **وبعض القصائد السواحيلية التي نظمها الشاعر والأديب السواحيلي كيزيلهابي Kezilahabi (١٩٤٤-٢٠٢٠م)، المولود بمحافظة موانزا Mwanza بتنزانيا:**

حيث نظم هذه القصائد شعراً حراً في ديوانه الطعنة Kichomi عام ١٩٧٤م، والتي أشارت إلى آثار الاستعمار الأوروبي على ساحل شرق إفريقيا، وذكرت أسماء المناضلين من السواحيليين الذين ضحوا بدمائهم من أجل حرية أوطانهم، مثل قصيدة «نهر الحق» Mto wa Haki (ص١٧)، وقصيدة «خمس عشرة دقيقة من المواطنة» Dakika ١٥ za Uzalendo (ص٥١).

ومن ثم؛ فقد ألقت الدراسة الضوء على بعض هذه القصائد التي صوّرت الوجود الألماني على الساحل الشرقي الإفريقي، والسياسة التي استخدمها الألمان مع أهل الساحل، بهدف الكشف عن مدى دقة تصوير الشعر للحقائق التاريخية من ناحية، والكشف عن القيم الفنية والجمالية التي عبَّر من خلالها ذلك الشعر عن تلك الحقائق من ناحيةٍ أخرى، وذلك من خلال الاعتماد على المنهج الجماليِ الذي من شأنه استخلاص الملامح الفنية والجمالية من النص الشعري، والمنهج التاريخي الذي من شأنه استجلاء ما يتضمنه النص من حقائق تاريخية.

أولاً: مرحلة ما قبل ثورة ماجي ماجي (١٨٨٨-١٩٠٥م):

سجَّل الشعر السواحيلي في هذه الفترة تاريخ بعض الانتفاضات التي قام بها أهل الساحل الشرقي الإفريقي تعبيراً عن غضبهم وعدم رضاهم عن التجاوزات التي حدثت من المستعمر الألماني والبريطاني في المناطق الساحلية، حيث وافقت بريطانيا على مدّ منطقة النفوذ الألمانية حتى بحيرتَي ملاوي- المعروفة سابقاً بـ«نياسا» Nyasa، وتنجانيقا Tanganyika، وذلك بمقتضى الاتفاقية التي وُقِّعت بين الجانبين (الألماني والبريطاني) عام ١٨٩٠م. كما تعهدت ألمانيا بالضغط على السيد «خليفة بن سعيد»- سلطان زنجبار آنذاك- ليتنازل لها عن المناطق التي سبق للشركة الألمانية أن استأجرتها منه، وتشمل المناطق الساحلية الواقعة بين مصب نهري أومبا Umba وروفوما Ruvuma، وهي المناطق التي صارت تُعرَف فيما بعد باسم تنجانيقا[1].

ومن هذه الانتفاضات: انتفاضة أبوشيري Abushiri، وانتفاضة مكواوا زعيم قبيلة أوهيهي، وبدراسة القصائد السواحيلية وتحليلها تبيّن أن «قصيدة حرب الألمان لامتلاك مريما»، هي التي صوّرت أحداث انتفاضة أبوشيري تصويراً تفصيلياً

استمر الوجود الألماني على الساحل الشرقي الإفريقي 34 عاماً (1884-1918م)، سجَّل الشعر السواحيلي خلالها أحداث انتفاضتَين وثورة ماجي ماجي بكل تفاصيلها

(١) قاسم، جمال زكريا. دولة البوسعيد في عمان وشرق إفريقيا منذ تأسيسها وحتى نهاية حكمها في زنجبار وبداية عهدها الجديد في عمان (١٧٤١-١٩٧٠م). الإمارات: مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠٤م، ص٣٢٠.

بارعاً. أمـــا انتفاضة مكواوا فقد صـــورت أحداثها قصيدة «حـــرب قبيلـــة أوهيهي»، وقصيـــدة «موت مكواوا».

١) انتفاضة أبوشيري:

نشـــبت في هذه المرحلة الانتفاضـــة المعروفة باسم «أبوشـــيري» نســـبةً إلى زعيمها الشيخ بشير بن ســـليم بن بشـــير الحارثي، المولود في الجزيرة الخضـــراء بيمبا Pemba بويتى Wete [١] وقد وُلِد عـــام ١٨٤٥م، لأب عربي وأم من الأرومو Oromoo (وهي جماعة عرقية موطنها إثيوبيا وشـــمال كينيا)، وكان حفيداً لواحد من المســـتوطنين العرب الأوائل الذين أقاموا على الســـاحل الشرقي الإفريقي، وكان قد نظَّم في شـــبابه حملات إلى الداخل للتجارة في العاج، واشـــترى مـــن أرباحه مزرعـــة زرعها بقصب السكر، وقد أتاح له ذلك تجميع محاربين استخدمهم فيما بعد ضد الألمان[٢].

وفـــي ١٨٨٥م؛ أعلن الألمان الحماية على زنجبار وأملاكها في الداخل وعلى الســـاحل، مما تسبب في إثارة غضب أهل الساحل، فاستعمل الألمان كل أنواع القسوة كي يفرضوا سلطتهم على هؤلاء الثوار، وكان الشـــيخ بشـــير من أبرزهم[٣]. وقد وصفه الشـــاعر السواحيلي حميدي البوهري قائلاً:

هناك في القرى،
رجل يتباهى،
بأنه شجاع كالأسد،
ويفوق النمر.
Mle katika mashamba،
Mna mtu ajigamba،
Ushujaa kama simba،
Na kuzidi namiria.
فلتعرف اسمه،
إنه أبوشيري،
بن سليم،
من قبيلة الحارثي.
Na jina lake fahamu،
Ni Abushiri isimu،
Mzaliwa ni Salimu،
Kabila Al-Harithia.
هذا الأسد المشهور،
الذي يكره الجور،
وكلما كان هناك قتال،
فضَّل المشاركة فيه.
Huyo simba mashuhuri،
Wala hataki jeuri،
Na kula palipo shari،
Azidi papendelea.
إنه شجاع معروف،
ليس في صدره خوف،
حتى لو واجه الألوف،
فلا يخشاهم.
Ni shujaa maarufu،
Rohoye haina khofu،
Mjapokuwa alufu،
Hakhofu kuwangilia.[٤]

ذكر البوهري نسب الشيخ بشير وقبيلته، مشبّهاً إيّاه بالأســـد في شجاعته، ومؤكداً أنه يفوق النمر في

(١) المغيري، سعيد بن علي. جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار. ط٤، تحقيق محمد علي الصليبي. مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة، ٢٠٠١م، ص ٣٩٧.

(٢) موانزي، هـ. أ. «المبادرات والمقاومة الإفريقية في شرق إفريقيا (١٨٨٠-١٩١٤)». تاريخ إفريقيا العام، المجلد السابع، بيروت: منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، ١٩٩٠م، ص ١٦٧-١٦٩.

(٣) زبادية، عبد القادر. دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٧م، ص ٢١٣.

(٤) El-Buhriy, Hemedi bin Abdallah. Utenzi wa Vita vya Wadachi 1891. Dar es Salaam: Dar es Salaam University Press, S.D, p16.

إقدامه وبسالته، فاستخدم أداة التشبيه Kama (كما)، واستخدم كلمة Kuzidi (يفوق)، التي تدلّ على التفضيل. والإشارة في السطر الأول من البيت الأول إلى أن الشيخ بشير جاء من القرى؛ تعني أنه جاء من مجتمع زراعي قروي، فاتسم بأفضل سمات أهل القرى ومنها الشجاعة. وقد أكد شجاعته مرّةً أخرى في السطر الأول من البيت الثالث، مستخدماً أسلوب التشبيه البليغ، حيث شبهه بالأسد، وحذف أداة التشبيه ووجه الشبه من أجل إقناع المتلقي بأن الشيخ بشير هو والأسد شيء واحد وليس هناك فرق بينهما. ثم أوضح الشاعر أن الشيخ بشير يكره الظلم ويفضل المشاركة في القتال، والدليل على شجاعته أنه لا يعرف الخوف ولا يخشى مهاجمة الأعداء مهما كان عددهم وعدتهم.

وأكّد الشاعر السواحيلي موروكا شجاعة الشيخ بشير قائلاً:

ظهر بوشيري،
هذا العربي الشجاع،
فعارض (الاستعمار الألماني) بإصرار،
واستعد للحرب.

Akatokea Bushiri،
Mwarabu huyo jasiri،
Akapinga kwa dhamiri،
Na vita akaandaa. [1]

وقد دعَّم الشيخ بشير في مقاومة الألمان أكثر أهالي بانجاني Pangani، حيث كان مركزه الحربي والتمويلي هناك، وبعد أن احتلها الألمان نقل مركزه إلى باجامويو Bagamoyo. ومن الأشخاص المعروفين الذين ساعدوه: خيري بن جمعة المغازي، المشهور بالسيد خيري Bwana Kheri، وهو رجل معروف بالبسالة والشجاعة [2]، وقد أشار إليه البوهري بقوله:

كنا في سفرنا،
وبعد بضعة أيام،
وصلنا إلى ميناء السيد خيري (سعداني)،
فدخلنا (بلدة) سعداني.

Tukaishika safari،
Siku haba zikajiri،
Bandari ya Bwana Kheri،
Saadani tukangiya. [3]

يُعدّ السيد خيري القائد الثاني في هذه الانتفاضة بعد الشيخ بشير مباشرةً، وكان حاكماً لبلدة سعداني Saadani آنذاك التي تقع على ساحل المحيط الهندي والتابعة لدولة تنزانيا حالياً، وذلك منذ عام ١٨٦٠-١٨٩٠م[4]. ويمثل الشيخ بشير الحارثي والسيد خيري التلاقي العربي الإفريقي والنظرة الجديدة للعرب والأفارقة، ورغبتهم في العيش والتطلع إلى المستقبل بعيداً عن هيمنة ونفوذ القوى الأجنبية وخصوصاً ألمانيا[5].

وهناك شخص آخر دعَّم الشيخ بشير وساعده وهو معروف باسم «جَهازي»[6]، وقد أكد البوهري ذلك قائلاً:

إنه يُدعى جَهازي،
شديد في القتال،

(١) Mwaruka, Ramadhani. Utenzi wa Jamhuri ya Tanzania. Dar es Salaam: East African Literature Bureau, Chapa ya nne, 1978 ,p11.

(٢) المغيري، مرجع سابق ، ص ٣٧٩.

(٣) El-Buhriy, op cit, p 24.

(٤) Emmanuel Kwaku & JR, Henry ,Akyeampong Louis Gates. Dictionary of African Biography. Vol. 6. New York: Oxford University Press, 2012,p57.

(٥) تركي، بنيان سعودي. «ثورة الشيخ بشير الحارثي في شرق إفريقيا ١٨٨٨- ١٨٨٩». المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد ٩٩، الكويت: جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٧م ، ص ١٠.

(٦) المغيري، مرجع سابق، ص ٣٩٧.

يهاجم كالصقر،
ولا يخشى أحداً.
Jinale etwa Jahazi،
Si mwema akibarizi،
Utamboni kama kozi،
Hakhofu mtu mmoya. (١)

وصف البوهري شخصية «جَهازي» بالشدة والشجاعة في القتال مشبّهاً إياه بالصقر، وفي الأمثال السواحيلية وُصف الصقر بأنه ماهر في صيد فريسته Mwana mandanda (٢)، ومن ثم أراد الشاعر أن يصف جهازي بالمهارة والشجاعة في القتال مثل الصقر تماماً.

أ- أسباب الانتفاضة:

جدير بالذكر أن الألمان عندما جاؤوا إلى ساحل شرق إفريقيا عرضوا على سلطان زنجبار أن يستأجروا منه الساحل الشرقي الإفريقي لينتفعوا بموانئه، وفي المقابل سيدفعون مبلغاً من المال يُقدَّر بمائة وخمسين ألف روبية، كما ورد في البيت رقم ٢١٨ من قصيدة حرب الألمان لامتلاك مريما، وسيزرعون الساحل ويعمِّرونه.. كما قال البوهري على لسانهم في البيت التالي:

فإذا أعطيتنا الساحل،
فسيكون ذلك جيداً،
سنحصل على أدوات للزراعة،
وسنبني على نطاق واسع.
Na ukitupa Mrima،
Ni kheri twaona vema،
Tutapata makulima،
Tutajenga kwa wasaa. (٣)

قَبِل سلطان زنجبار هذا العرض المغري الذي قدَّمه له المستعمر الألماني، وحذَّرهم من أي تلاعب أو تَعدٍّ، كما أكد لهم أنهم ليسوا إلا مجرد مستأجرين للساحل ولم يشتروه، كما قال البوهري على لسان السلطان موجهاً كلامه للمستعمر الألماني:

لا تضايقوا الجنود،
من خلال أعمال الفساد،
لقد جئتم مستأجرين،
ولم تشتروا البلاد.
Msiwadhiki junudi،
Kwa mambo ya ufisadi،
Nyinyi mjile kukodi،
Nti hamkununua (٤)

فما كان من المستعمر إلا أنه استغل هذا الوضع واتخذه ذريعة لاحتلال مدن الساحل بموانئها وكأنه قد اشتراها، وكان هذا الموقف بمثابة الشرارة الأولى التي أشعلت فتيل الانتفاضة.

ومن الأسباب التي أدت إلى نشوب الانتفاضة أيضاً ما قام به الألمان من فرض العديد من الضرائب على أهل الساحل، كما أخبر البوهري على لسان سلطان زنجبار؛ معاتباً المستعمر الألماني قائلاً له:

هل اتفقنا أنا وأنت (أيها المستعمر)،
على أن تجبي منهم ضرائب؟
إن المدن ملك لهم (أي لأهل الساحل)،
ولا أستطيع أن أتدخل في شأنهم،
Ahadi yetu minawe،
Ni ya ushuru utowe،
Miji ni yao wenyewe،
Siwezi waingilia. (٥)

(١) El-Buhriy, op cit p p 16 -17.

(٢) King'ei, Kitula & Ndalu, Ahmed. Kamusi ya Methali za Kiswahili. Nairobi: East African Educational publisher Ltd, Toleo jipya, 2009, p126.

(٣) El-Buhriy, op cit, p 13.

(٤) Ibid.

(٥) Ibid, p16.

ومـــن أهـــم أســـباب الانتفاضة ما أشـــار إليها البوهري من استهانة الألمان بالمقدسات الإسلامية، كما ورد في الأبيات التالية:

لقد تأكدنا،

أن هناك في بنجاني،

الأوروبيون قد دخلوا المسجد،

ولم تُؤدَّ صلاة العيد.

Tukazipata yakini،

Ya kama huko Pangani،

Wazungu msikitini،

Idi haikusaliwa.

إنهم دخلوا المسجد،

بكلابهم،

ففر الوالي،

ولم يتحمل البقاء.

Walikuja wakangia،

Na majibwa yao pia،

Liwali akakimbia،

Asihimili kukaa.

ومزّقوا العَلَم،

ولا يزال منكساً،

وصادروا البنادق،

من جميع المتاجر.

Wakakata mlingoti،

Hivi sasa uko nti،

Wakazuia baruti،

Jamii maduka pia.

فلتفهم، إنهم نكّسوا،

عَلَم (السلطان) المعظَّم،

والآن عزموا على،

رفع عَلَمهم، فلتع.

Wakaikunda fahamu،

Bendera ya Muadhamu،

Na sasa wameazimu،

Kutweka yao sikia.[1]

أوضـــح البوهري فـــي الأبيات الســـابقة بعض الأســـباب التي أدت إلـــى انـــدلاع الانتفاضة، فذكر أن أولها وأهمها وأخطرهـــا على الإطلاق هو دخول الألمان إلى أحد المساجد في بلدة بنجاني يوم العيد واعتداؤهم السافر على كرامة المصلين. وليس ذلك فحســـب؛ بل ســـمحوا لكلابهم أيضـــاً بالدخول إلى هـــذا المكان الطاهر المعد للعبادة ودنســـوه، ومنعوا المســـلمين من أداء صلاة العيد آنـــذاك. وهذا قد يشـــير إلى مدى ازدراء المستعمر آنذاك للمقدسات الإسلامية.

والسبب الثاني يتمثل في تمزيقهم لعَلم السلطان ورفعهم مكانـــه العلم الألماني، ممـــا يدل على مدى غطرســـة المســـتعمر وعجرفته. فكان السبب الأول وحده- فضلاً عن الســـبب الثانـــي- كفيلاً بتصعيد الموقـــف، وتأجيج المشـــاعر، وشـــحذ الهمم نحو الانتفاضة، ومواجهة المستعمر الألماني بكل قوة.

ومـــن الملاحظ أن الأبيات الســـابقة قد تعكس مدى الوحدة والترابط بين أبناء الســـاحل الإفريقي الشـــرقي، حيث انتهك الألمان حرمة مسجد في بلدة بانجاني التي تبعد ٤٥ كيلومتراً جنوب محافظة تانجا، وتنكيس علم سلطان زنجبار، ورفع علمهم مكانه، مما كان له عظيـــم الأثر في نفس الشـــاعر وإخوانه من أهـــل محافظة تانجا، لدرجة أنهم لـــم يهنؤوا بطعام لمدة ثلاثة أشـــهر حزناً وتألمـــاً مما حدث لإخوانهم في بانجاني.

ب- التصوير الشعري لأحداث الانتفاضة:

أدت الأســـباب السابقة إلى احتقان مشاعر أبناء الساحل الشـــرقي الإفريقي وسخطهم على الألمان، وتمكّن الشـــيخ بشـــير الحارثي مـــن أن يجمع حوله العديد من الغاضبيـــن والمعارضين للوجود الألماني من العرب وأهل الســـاحل. وانطلقت الشرارة الأولى

(١) Ibid, p14.

لثورة الشـيخ بشير بن سـالم الحارثي في أغسطس ١٨٨٨م، في السـاحل الشرقي للقارة الإفريقية وعلى وجـه الخصوص من مزارع العمـل الإجباري في كل مـن باجامويو وبانجاني، وكان الشـيخ بشـير اتخذ من بانجاني مركـزاً لثورته (تركي، ٢٠٠٧: ١٠). وفي هذا الصدد؛ يذكر المغيـري أن أهالي باجامويو قد استدعوا الشيخ بشـير من زنجبار، لمقاومة الألمان عندما اجتاحوا باجامويو، وجمعوا جموعهم وقواتهم، وانضـم إليهم جيش عظيم من عـرب وبلوش (وهم أحد الأعراق التي توجد في باكستان وإيران وسلطنة عمان) وسـواحيلية[١]، وقد أشـار البوهري إلى ذلك قائلاً:

وبعد ذلك،
ما فعله أبوشيري،
أنه تلقى أخباراً (مفادها)،
أن باجامويو قد دخلها المستعمر.
Baada sayo kujiri،
Atendayo Abushiri،
Akazipata khabari،
Bagamoyo imengiwa.
فدُمرت هذه البلدة،
وفرَّ الناس هاربين،
من أجل الحرب التي اجتاحتهم.
Winde hata Bagamoyo،
Imekufa nti hiyo،
Na watu wenenda mbiyo،
Kwa vita kuwangilia. [٢]

فانطلق الشيخ بشير ومن معه من الثوار مسرعين لإنقاذ أهالـي باجامويو، وعندما وصلـوا إلى قرية ويندى وجدوا سـفينتين حربيتين تابعتين للمستعمر الألماني تطلقان قذائف نارية على أهل القرية بمنتهى الشراسة، كما صور ذلك البيت التالي:

اهتزت المدافع،
كانفجار الصخرة،
فأزاحت القصور،
فسقطت في حينها.
Mizinga ikatetema،
Kama mwamba wa kuvuma،
Majumba yakasukumwa،
Kuno yakapindukia. [٣]

عبَّر البوهري عن مدى قوة القذائف الثقيلة التي أطلقتها مدافع السـفينتين بقولـه: اهتزت المدافع Mizinga ikatetema، وهـذا الاهتزاز كناية عن مـدى القوة التدميرية لهذه القذائف، مشـبهاً دويها بانفجار صخرة، مسـتخدماً أداة التشـبيه Kama، لتأكيد شدة هذا الدوي. ومن ثم؛ فإذا نظرنا إلى العدة والعتاد التي يمتلكها الطرفان؛ نجد أن أسلحة الشيخ بشير قد تمثلت- كما أشار هاميلتون- في ثلاثة مدافع صغيرة وألفين من الثوار مسلحين ببنادق قديمة. في حين امتلك الألمان آنذاك عدداً من السـفن البحرية الحربية على طول الساحل الشرقي الإفريقي، فضلاً عن دعم قوات الشركة الألمانية، لذلك فلا عجب من أن حصيلـة ثلاثة أيام من القتال، خلال الفترة من ٤ إلى ٧ ديسـمبر ١٨٨٨م، مقتل جندي واحد فقط من الألمان فـي مقابل مائة من الثوار الوطنيين من أبناء الساحل[٤]، وقد عقد البوهري مقارنةً بين نوع وحجم الأسلحة التي استخدمها الطرفان بقوله:

اليوم قد نزلوا (من السفينة)،
فأطلقنا عليهم (رصاص) البنادق،
فوقع منهم ضحايا،

(١) المغيري مرجع سابق، ص ٣٩٨

(٢) Ibid, p20.

(٣) Ibid, p20.

(٤) Hamilton, Genesta. Princes of Zinj, The Rulers of Zanzibar. London: Hutchinson & CO. (Publishers) LTD, 1957,p196

لا نعرف عددهم.

Hata leo wameshuka،
Wamepigwa kwa tafaka،
Nao wamekhasirika،
Hatujui idadia.

فأطلقوا علينا الأعيرة النارية،

من مدافعهم التي ليس لها عدد،

ولم يكن لدينا خيار آخر،

سوى الهروب منهم.

Wametupiga risasi،
Mizinga iso kiasi،
Pasikuwa na nafasi،
Hata tumewakimbia. [١]

قد يلاحظ القارئ من خلال البيتين السابقين عدم وجود تكافؤ في نوع وحجم السلاح الذي استخدمه الطرفان، حيث وصف الشاعر السلاح الذي استخدمه الشيخ بشير ومن معه بقوله: Tafaka، وهو نوع من الأسلحة النارية أو البنادق، وهذه الكلمة مقترضة من لفظة «تفك» أو «تفنك» التي قال عنها الشيخ أحمد رضا إنها لفظة تركية الأصل بمعنى البندقية[٢]. وقد ظهر هذا النوع من البنادق مع مجيء العثمانيين، حيث استخدموها منذ القرن السادس عشر، ثم انتقلت إلى العراق والجزيرة والخليج العربي[٣]. وانتقلت بعد ذلك إلى الساحل الشرقي الإفريقي[٤].

ومن ثم؛ فربما قصد الشاعر أن هذه البنادق كانت قديمة جداً ولا تصلح لمواجهة المستعمر الذي امتلك سفناً حربية مجهزة بأحدث المدافع التي وصفها بأنها: Mizinga iso kiasi، مدافع ليس لها عدد.

تطورت أحداث الانتفاضة في مناطق شاسعة من الساحل الشرقي للقارة الإفريقية، وتمكَّن عدد يقدَّر بعشرين ألف مقاتل- كما ذكر الريامي- من دحر جيوش الألمان من جميع أراضي البر الإفريقي، باستثناء دار السلام وباجامويو[٥]، قال البوهري:

هرب الأوروبيون،

وذهبوا وأقاموا،

في المنازل التي وصلوا إليها،

وظلوا صامتين.

Wazungu wakakimbia،
Wakenda wakajitia،
Nyumba waliyofikia،
Wakanyamaza jamaa. [٦]

وعندما شاهد قائد الجيش الألماني أن جيوشه آخذة في التقهقر أحضر قوة إسناد، تتألف من ضبَّاط ألمان ومجموعة من الجنود الأفارقة المرتزقة، لقمع المسلمين الثائرين، ومن ناحية أخرى؛ فإن رئيس الوزراء البريطاني اللورد ساليسبوري تعاون مع رئيس الوزراء الألماني بسمارك في فرض حصار بحري على طول الساحل، لمنع وصول الإمدادات والسلاح والذخيرة إلى جيش بشير الحارثي[٧]. وذكر المغيري أن الشيخ بشير قد اتخذ من منطقة أنزولا Anzula التي تبعد حوالي ساعة ونصف في غرب باجامويو مقراً له، وأنه قد بنى حصناً من الحطب ليحتمي فيه هو ومن معه[٨]. قال البوهري معبراً عن هذا

(١) El-Buhriy , op cit p 15.

(٢) رضا، الشيخ أحمد. قاموس رد العامي إلى الفصيح. ط٢، بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨١م، ص ٦٣.

(٣) الهاشمي، رحيم كاظم محمد. تجارة الأسلحة في الخليج العربي ١٨٨١-١٩١٤م. ط١، دمشق: دار علاء الدين، ٢٠٠٠م، ص٧.

(٤) المرجع السابق، ص٩٥.

(٥) الريامي، ناصر بن عبد الله. زنجبار، شخصيات وأحداث. القاهرة: مكتبة بيروت، ٢٠٠٩م، ص٨٦.

(٦) El-Buhriy ,op cit, p 21.

(٧) الريامي، مرجع سابق، ٨٦.

(٨) المغيري، مرجع سابق، ص ٣٩٨.

المشهد:

عاد جيش (الشيخ بشير)،
لبناء الحصن،
من الحطب الجيد،
وأقيمت البوابات.

Jeshi ikarudi nyuma،
Wakenda lijenga boma،
Kwa mijiti mema mema،
Na malango yakatiwa. (١)

وعندما علم الألمان بذلك، وعلموا أن الحصن مبني من الحطب هاجموه بالعدة والعتاد والمدافع، فأحرقوه وقتلوا من رفاق الشيخ بشير عدداً كبيراً. فتمكن بشير الحارثي ومن معه من الفرار، قاصداً بلدة بنجاني، وبات في مكان يُعرَف بـ«مكواجا»، ومنها إلى كومبي. وتمكن جيش الألمان من القبض على الشيخ بشير ومن معه بين بنجاني وكومبي(٢)، وقد أشار البوهري إلى هذه الأحداث قائلاً:

تحطَّم الحصن،
وتشرذم الناس،
وأريقت الدماء،
بطريقة لا مثيل لها.

Na boma likavundika،
Na watu kutawanyika،
Na humra kumwagika،
Wala isiyo mithaa. (٣)

وبعد أن قُبِض على القائد بشير الحارثي أُعدِم شنقاً في ميدان عام في بلدة بنجاني، وكان ذلك في ١٨٨٩/١٢/١٥م(٤).

وقد يُلاحَظ من خلال البيت السابق بشاعة المنظر، حيث صوّر الشاعر حالة التشرذم والهلع التي كان عليها الشيخ بشير ومن معه عندما تحطَّم الحصن، وما حدث لهم آنذاك من إراقة للدماء وإزهاق للأرواح بطريقة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الساحل الشرقي الإفريقي. وقد عبَّر الشاعر عن كثرة هذه الدماء التي أريقت باستخدامه لكلمة Humra التي تعني الدم الكثيف الذي يخرج من المرأة على غير عادة الحيض(٥)، مما يشير إلى سياسة العنف التي استخدمها الألمان ضد أبناء الساحل.

ويقول المغيري إن بعض أصحاب الشيخ بشير الحارثي الذين كانوا معه صاروا جواسيس للألمان، ولا يُستبعد أن يكونوا هم السبب في إلقاء القبض عليه، وأنهم هم الذين سلّموه للألمان، ولولا خيانتهم له لتمكن الشيخ بشير من الهروب إلى زنجبار أو إلى ما شاء الله من البقاع(٦).

ويقول البوهري عن أحد أصحاب الشيخ بشير المقربين منه والذي يُدعى جهازي:

ومعه شخص آخر،
إنه رفيقه الملازم له،
لا تقل عنه إنه سيئ،
من الأفضل الصمت.

Anaye mtu mwengine،
Rafikiye wendemene،
Mbaya msimnene،
Afadhali kunyamaa. (٧)

قد يكون في البيت السابق إشارة إلى أن جهازي هذا الذي كان صديقاً ملازماً للشيخ بشير الحارثي وداعماً له، ربما قد صار فيما بعد جاسوساً للألمان، ومن ثم كان سبباً في تسليمه لهم. ولكن يبدو أن

(١) El-Buhriy ,op cit, p 21

(٢) المغيري، مرجع سابق، ص٣٩٨

(٣) El-Buhriy, op cit, p 29.

(٤) الريامي، مرجع سابق، ص٨٦.

(٥) BAKIZA. Kamusi la Kiswahili Fasaha. Nairobi: Oxford University Press, 2010, p120.

(٦) المغيري، مرجع سابق، ص٣٩٩ .

(٧) El-Buhriy , op cit, p 16

الشاعر ليس عنده دليل قاطع على هذا الخبر، لذلك فضَّل الصمت وعدم الخوض في هذا الموضوع.

٢) انتفاضة مكواوا:

بعد أن أُعدِم الشيخ بشير الحارثي لم يتحسن الموقف بين الحكومة الألمانية والثوار، فقد ظل الساحل بل والمناطق الداخلية خلف مدينة كيلوا Kilwa، في حالة من التأهب والاستعداد لمقاومة الوجود الألماني، ومن ثم ظهر مكواوا (١٨٩٨-١٨٥٥م) زعيم قبيلة أوهيهي في محافظة إيرينجا Iringa بالمرتفعات الجنوبية المعروفة حالياً بـ «البر التنزاني»، ليواصل مسيرة الشيخ بشير الحارثي في هذه المقاومة. وقد اشتهر الزعيم مكواوا - كما أشار ويلوبي وآخرون- بشجاعته وجرأته الشديدة في مقاومة الاستعمار الألماني[١].

وقد أكد ذلك الشاعر والأديب السواحيلي كيزيلهابي في قصيدته «خمس عشرة دقيقة من المواطنة» قائلاً:

زعيمنا مكواوا البارع،
من قبيلة أوهيهي المقدام.
Mkwawa wetu mahiri،
Mhehe mwenye makasi.[٢]

وقد تمكن مكواوا في بداية الأمر من هزيمة الألمان في ١٨/١٧ من أغسطس عام ١٨٩١م، بمنطقة لوجالو Lugalo أو روجالو Rugalo، ثم أعادت القوات الألمانية تجميع صفوفها فهزمت جيش مكواوا في منطقة كيليماتيندي Kilimatende. وفي ٢٨ أكتوبر عام ١٨٩٤م، هاجم الألمان عاصمة مكواوا المحصنة في منطقة كالنجا Kalenga. وبعد يومين من تبادل إطلاق النار حاصرت القوات الألمانية منطقة كالينجا، مما أجبر مكواوا على الفرار إلى قرية مالمباسي Mlambalasi، حيث كان يعيش[٣]، لكنه لم يستطع مجابهة الألمان بإمكانياته المحدودة، كما أكَّد موينى شوماري ذلك قائلاً:

استمعوا إلى أخبار،
مكواوا العظيم،
لقد تملكه الغرور،
فمازح البحر.
Sikilizani habari،
yake Mkwawa kabiri،
alishikwa na ghururi،
akicheza na bahari.
ألا يستطع أن يتخيل،
أن البحر شيء كبير،
وفيه العديد من المخاطر،
ولا يقدَرها أحد.
asiwaze kufikiri،
bahari kitu kabiri،
muna nyingi hatari،
wala mtu hakadiri.
لقد قال الأجداد:
«البحر لا يُحكم»،
لكن ابن موينجا عارض ذلك،
واعتبر البحر شيئاً صغيراً.
watu wa kale waronga:
"bahari haiuzwi nonga";
mwa Muinga kaipinga،
azani kitu saghiri.[٤]

(١) Willoughby, Pamela R. et. al. A German Rifle Casing and Chief Mkwawa of the Wahehe: the Colonial and Post-Colonial Significance of Mlambalasi Rockshelter, Iringa Region, Tanzania. Journal of African Archaeology 35-23 ,2019/17

(٢) Kezilahabi, Euphrase. Kichomi. Nairobi: Heinemann Educational House, 1974 , p 51.

(٣) Willoughby , op cit, p 26.

(٤) Velten, C. & Westermann, D. Afrikanische Studien. Berlin: Kommissionsverlag von

في الأبيات السابقة استعارة مزدوجة (تصريحية ومكنية)، حيث شبه الشاعر المستعمر الألماني بالبحر، وحذف المشبه (المستعمر الألماني)، وصرَّح بالمشبه به (البحر) bahari، الذي شبهه بإنسان، وحذف المشبه به (الإنسان)، ورمز له بشيء من لوازمه، وهو الفعل (مازح) akicheza. والشاعر هنا يريد أن يؤكد عدم تكافؤ الطرفين من حيث العدة والعتاد، ومن ثم لم يتمكن مكواوا من الاستمرار في مواجهة الألمان. وكما أشار موانزي أنه بعد أن طارد الألمان مكواوا لمدة أربع سنوات انتحر مكواوا حتى لا يقع في أسرهم [١]. وهذه كانت عادة أفراد قبيلة واهيهي، الذين كانوا يفضلون الموت على الاستسلام للعدو (الريامي، ٢٠٠٩: ٨٠)، وهذا ما أخبر به الشاعر السواحيلي موينى شوماري قائلاً:

أطلق (مكواوا) رصاصة،
في رأسه،
فحطَّمت أعلى الرأس،
وخرج ما بداخله.

kajipiga kwa risasi،
ndani katika rasi،
ikazibua utosi،
ikatoka taisiri.[٢]

آثر مكواوا الانتحار على الاستسلام للألمان، فخلّد التاريخ اسمه، ونظم الشعراء قصائد في مدحه، وسيظل أبناء الساحل يتذكرونه ببطولته، كما قال الشاعر والأديب السواحيلي شعبان روبرت:

ومنذ ذلك اليوم يُذكر مكواوا،
ضمن القدماء العظماء.

Na tokea siku ile Mkwawa
،anatajika
Katika watu wa kale ambao
.watukuka.[٣]

٣) زعماء آخرون خلّد الشعر السواحيلي ذكرهم:

ومن الزعماء المناضلين الذين كان لهم دورٌ بارز في مقاومة الألمان «إيسيكي» زعيم قبيلة وانيامويزي في إقليم تابورا Tabora بتنزانيا، وقد سجّل الشاعر السواحيلي موا روكا تاريخ هذا البطل بحروف من نور قائلاً:

إيسيكي الشجاع،
الساكن في أونينيمبي،
والذي أنجب ولداً،
فأزعج الألمان.

Isiki huyo shujaa،
Unyanyembe alikaa،
Mwana aliyemzaa،
.Wadachi kawasumbua

وفي النهاية معقل إيسيكي،
دمره الألماني،
وذاك ملكه،
سلبه الألماني.

Mwisho ngome ya Isiki،
Mdachi kaihiliki،
Na ile yake miliki،
.Jerumani kaitwaa

لم يقبل إيسيكي بذلك،
فقُبض عليه أسيراً،
فرحل عن الدنيا،
بنفسه منتحراً.

Isiki hakuridhika،

Georg Reimer, des Seminars fьr Orientalische Sprachen zu Berlin, Dritte Abteilung, 1918 , pp 156-157.

(١) موانزي، مرجع سابق، ص ١٦٧.

(٢) Velten & Westermann, op cit, p 166.

(٣) Robert, Shaaban. Mashairi ya Shaaban Robert. Nairobi, Nelson, Chapa ya kwanza, 1968 , p13.

Ashikwe awe mateka،
Duniani kaondoka،
Kwa mwenyewe kajiua.[١]

أوضح كيهيو Kihiyo أنه حدثت مواجهات عنيفة بين أفراد قبيلة إيســيكي وبين الألمان، وذلك من يوم ٩-١٢ يناير عام ١٨٩٣م، وفي نهاية هذه المواجهات استولى الألمان على معقل إيسيكي بالقوة [٢]، وقبضوا عليه أسيراً، فلم يرضَ بهذا الذلِّ والهوان، فقتل نفسه كما فعل مكواوا زعيم قبيلة أوهيهي.

وكان الزعيم ميلي Meli زعيم قبيلة واتشــاجا، التي تعيش بالقرب مــن جبل كليمنجارو بتنزانيا، هو أيضاً من الزعماء المناضلين الذين قاوموا الاستعمار الألماني، فوصفه الشاعر موراوكا قائلاً:

ميلي زعيم شجاع،
ذو الحماس والهمة،
قتل قائد الجيش الألماني،
وناضل من أجل بلده.

Meli ni Mangi jasiri،
Mwenye juhudi na ari،
Kamwua Jemadari،
Nchiye kuiwania.

هذا الحاكم البطل،
بعد أن كان سجيناً،
أُعدم شنقاً فيما بعد،
وفارق الحياة.

Mtawala huyo bingwa،
Ndipo akawa mfungwa،
Baadaye akanyongwa،
Akafariki dunia.[٣]

اتســم الزعيم ميلي بأنه كان بطلاً شــجاعاً ذا حماس وهمة، وكان مناضلاً ضد الاستعمار الألماني. وفي إحدى المواجهات قتل قائــد الجيش الألماني، فأراد الاســتعمار أن يثأر منه، فقبضوا عليه وسجنوه وأعدموه شــنقاً، كما فعلوا بالشيخ بشير الحارثي من قبل.

ثم أشــار الشــاعر موراوكا إلى المواجهات التي حدثت بين زعماء قبيلة ياؤ Yao والاستعمار الألماني قائلاً:

حتى بلدة واياؤ،
استولى عليها الألماني،
وحارب أهلها،
وقتل زعماءها.

Hata nchi ya Wayao،
Mdachi kapata mwao،
Naye kapigana nao،
Na wakuu kawaua.[٤]

تمكنــت قبيلة يــاؤ، التي تتمركز فــي الطرف الجنوبــي من بحيرة ملاوي فــي تنزانيا، من هزيمة الاســتعمار الألماني عدة مرات، وفي ١٨٩٩م هزمهم الاستعمار الألماني بعد أن استولوا على معقلهم وقتلوا زعماءهم[٥].

واستمرت أعمال العنف بين الألمان وأبناء الساحل حتى انفجرت ثورة أكثر عنفاً وأوســع انتشاراً وأعظم خطراً، تلك هي ثورة «ماجي ماجي» عام ١٩٠٥م، التي هددت بشكل خطير الاستعمار الألماني وزادت أعمال العنف والإرهاب الذي مارســته الســلطات الألمانية ضد الثوار[٦].

---

(١) Mwaruka , op cit, p 16.

(٢) Kihiyo, Jackson. Vita Kuu ya Kwanza ya Dunia Nchini Tanganyika (1914- 1918). Dar es Salaam: Utamaduni Publishers, 1985 ,p 13.

(٣) Mwaruka , op cit, p 17.

(٤) Ibid.

(٥) Jeshi la Ulinzi la Wananchi. Miaka 20 ya Jeshi la Ulinzi la Wananchi wa Tanzania Dar es Salaam: Tanzania .1984-(JWTZ), 1964 Publishing House, 1984 , p 33.

(٦) الجمل، شوقي & إبراهيم، عبد الله عبد الرازق. تاريخ

ثانياً: ثورة ماجي ماجي (١٩٠٥م-١٩٠٧م):

تُعدّ ثورة ماجي ماجي من أكثر الحركات الوطنية أهمية في شـــرق إفريقيا، وقد ســـاعد نجاحها على امتدادها من بحيرة ملاوي إلى ســـاحل كيلوا (انظر: الصورة رقم ١)، وشاركت فيها كل القبائل الإسلامية والوثنية في محاولة منها لطرد الألمان، وقد شـــجع هذا النجاح على انـــدلاع الثورة وزيادة المقاومة ضد المستعمرين الألمان في أماكن مختلفة[١].

الصورة رقم (١): خريطة ثورة ماجي ماجي:

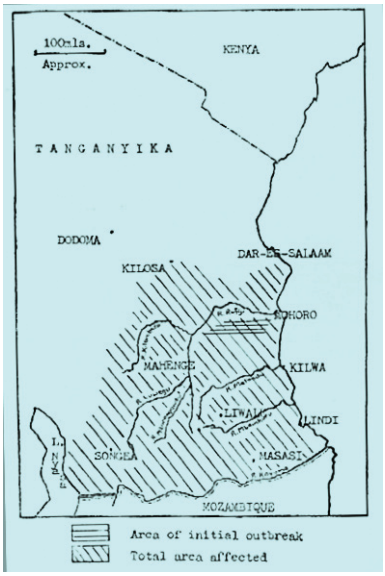

قـــاد هذه الثـــورة منذ بدايتها الزعيـــم التنزاني كينجيكيتيلي نجُوالى Kinjikitile Ngwale، الذي عـــاش في منطقة نجارامبـــى Ngarambe، جنوب تنجانيقـــا. ويعتقد أهل هذه المنطقة أنه أصابه مسّ من جِـــنّ يُدعى Hongo هونجـــو[٢]. وقد لجأ هذا الزعيم إلى اســـتخدام المعتقدات الدينية سعياً منه إلى توحيد أبناء شـــعبه لمقاومة الاستعمار الألماني، فبنى معبداً كبيراً ســـمّاه «بيت الله» تأكيداً منه على وحدتهم، وأعدّ ماءً ســـحرياً وزعم أن من يشربه من أنصاره يصبـــح محصناً ضد رصـــاص الأوروبيين. واســـتمرت الثـــورة من يوليو ١٩٠٥م إلى أغســـطس ١٩٠٧م، وانتشرت في مساحة تبلغ ستة وعشرين ألف كيلومتر مربع في الثلث الجنوبي من تنجانيقا، وشملت أكثر من عشـــرين مجموعة عرقية مختلفة[٣]. وتجدر الإشـــارة إلى أنه كان هناك عدة أســـباب لقيام هذه الثورة بيّنها الشـــاعر الســـواحيلي عبد الكريم جمال الدين على النحو التالي.

أ- أسباب الثورة:

من أهم أســـباب قيام هذه الثورة ما ذكره عبد الكريم جمال الدين في قصيدته المسمّاة بـ«حرب ماجـــي ماجي» على لســـان مجموعـــة من أنصار الزعيم كينجيكيتيلي:

لقد تعبنا يا سيدنا،
من العمل اليومي،
فلنمت، لتزول هذه المتاعب،
نعم لقد اخترنا ذلك.

Bwanu wetu، tumechoka،
Kila siku kutumika،
tufe، yatoke mashaka
naam tumekhitari

مرة نقوم بزراعة الحقول،
وفي المساء نجني القطن،
وكذلك نبني القصور،
وندبر حالنا لدفع الضرائب.

Mara kulima mashamba،

إفريقيا الحديث والمعاصر. ط٢، الرياض: دار الزهراء للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م، ص٢٤٢-٢٤٣.

(١) الجمل، مرجع سابق، ص٢٤٣.

(٢) Gwassa, G.C.K. Kumbukumbu za Vita vya Maji Maji. Nairobi: East African Publishing House, 1967, pp 13- 14.

(٣) موانزي، مرجع سابق، ص ١٧٦.

jioni tuvune pamba،
tena tujenge majumba
.na kodi tukidabiri

يا له من عبء ثقيل! قد شعرنا به؛

وكنا خائفين من التحدث عنه،

فخططنا للثورة،

وقد اخترنا الموت.

;Mazito، tukayaona
،tukaucha na kzinena
،tukaizuwa fitina
.la kufa tumekhitari [١]

أوضح الشاعر أن تسخير الفلاحين من أهل الساحل في العمل الإجباري لزراعة الحقول الألمانية واستغلالهم في أعمال البناء دون إعطائهم مقابلاً مادياً مناسباً لعملهم وفرض الضرائب عليهم كان من أهم أسباب قيام هذه الثورة.

ومن الملاحظ في الأبيات السابقة أن الشاعر قد استخدم الزمن me في قوله: tumechoka، لقد تعبنا، وفي قوله la kufa tumekhitari، لقد اخترنا الموت. وهذا الزمن يقول عنه تشومي إنه يعبر عن اكتمال الحدث وتمامه[٢]. ومن ثم فقد استخدمه الشاعر للإشارة إلى أن أهل الساحل قد عانوا أشد المعاناة، ووصلوا إلى مرحلة كبيرة من اليأس، فتمنوا الموت ليرتاحوا من هذا الاستغلال. فضلاً عن تكرار قوله: tumekhitari، لقد اخترنا (الموت)، في السطر الرابع من البيتين الأول والثالث، وذلك لتصوير حالة الإحباط واليأس الشديد التي وصلوا إليها آنذاك.

ب- التصوير الشعري لأحداث الثورة:

في الثالث عشر من يوليو ١٩٠٥ م بدأت «ثورة ماجي ماجي» في مرتفعات ماتومبي Matumbi، شمال غرب كيلوا، ومن هذه النواة انتشرت أعمال العنف شمالاً وجنوباً، أي أن مركز الثورة كان الجزء الأوسط والأعلى من نهر روفيجي Rufiji، ولكنها امتدت شمالاً ثم توسعت تدريجياً (الجمل & إبراهيم، ٢٠٠٢: ٢٤٨). وقد اشتهرت هذه الثورة بهذا الاسم نظراً للرمز الذي اتخذته لمحاربة الألمان بشجاعة واستبسال، إذ إن قائدها قد اتخذ من دقيق الذرة العويجة المخلوط بالماء- الذي زعم أنه سحري- ورشه على المحاربين رمزاً يرمز به إلى التحصن والتدرع بدرع الوقاية من رصاص الألمان [٣] وقد وصف عبد الكريم جمال الدين موقفه من هذه الثورة في «قصيدة حرب ماجي ماجي» قائلاً:

كنَّا نعيش في أمان،

ونأكل الطيب من الطعام،

وذات مرة فجأة،

جاء الخبر فسمعنا.

Twalikaa tukilala،
;na ndisha njema tukila
،mara ikaja ghajula
.tukasikia habari

أن الهمج قد تمردوا،

وأنهم يقتربون من مقر الحكم،

والأسلحة في أيديهم،

لتدمير المدن.

Ya washenzi wamekhuni،
،na hivi waja bomani

(١) Lorenz, Von A. Gedicht vom Majimaji-Aufstand. in: Mitteilungen des Seminars fьr Orientalische Sprachen zu Berlin, 36/1933, S. 227-259. p229..

(٢) Chomi, E. Wesana. Kitangulizi cha Muundo Viambajengo wa Sentensi za Kiswahili. Dar es Salaam: Taasisi ya Taaluma za Kiswahili (TATAKI), Chuo Kikuu cha Dar es Salaam, 2017 , p64.

(٣) أبو عجل، مرجع سابق، ص ٣٨.

na silaha mkononi،
na miji kuyihasiri.
فاستهنَّا جميعاً،
من أن هذا خبر عظيم؛
فأنَّى لمثل هؤلاء،
أن يقوموا بعنف شديد؟
Na sote tukatharau،
kwa habari ni kuu;
huwaje hata wao،
Kufanya mno jeuri?
كانت بدايتهم في سامانجا،
ولم يصلوا إلى تانجا،
جميع الهمج حمقى،
إذ خسروا أنفسهم سدى.
Awali yao Samanga،
hasha hakufika Tanga،
Washenzi wote wajinga،
bilashi kujihasiri.[1]

أوضح عبد الكريم جمال الدين أنه عاش بين أهله حياة آمنة ومستقرة قبل أحداث هذه الثورة. وقد يُفهم من هذا السياق أن الثورة من وجهة نظره كانت سبباً في تغيير هذه الحياة الآمنة إلى فوضى وعنف، حيث قصد الثوار تدمير مقر الحكم ومركز الإدارة boma الخاص بالمستعمر الألماني آنذاك، وذلك لإسقاط الحكومة، ومن ثم نشر الفوضى في البلاد، وهذا ما عبَّر عنه الشاعر في البيت الثاني.

كما يّفهم من خلال هذه الأبيات أن الشاعر كان معارضاً لثورة ماجي ماجي، لأنها كانت سبباً في الدمار الذي حلَّ بمجتمعه، ويظهر ذلك بوضوح من خلال وصفه للثوار بأنهم washenzi، وهذا اللفظ جمع مفرده mshenzi، ومعناه- كما ورد في قاموس باكيزا- شخص متخلف، غير متحضر[2]. وأكد ذلك بوصف آخر قائلاً إنهم wajinga وهو كذلك لفظ جمع مفرده mjinga، بمعنى شخص جاهل[3]. ثم حدد نقطة البداية التي تفجرت فيها أحداث العنف، وهي مدينة سامانجا التي تقع على الساحل- كما أشار ميهى- وتحديداً بين نهر روفيجي وجزيرة كيلوا[4]. أي في جنوب شرق تنزانيا. وأكد عبد الكريم جمال الدين في البيت التالي نية هؤلاء الثوار المبيتة، وهي إسقاط الحكومة، مشيراً إلى موقف السلطان العماني وبداية الصراع قائلاً:

إنهم رغبوا في القتال،
لإسقاط الحكومة،
ولم يقبل السلطان ذلك،
فأرسل إليهم الجنود.
Walitamani kitali،
kuikhuni sirkali،
Sultani sikubali،
kapandisha askari.
فخرجوا لتعقبهم،
فوجدوهم في المرتفعات،
وعندئذٍ قامت الحرب،
بالبنادق لا بالخناجر.
Wakapanda kufuwata،
vilimani kawakuta،
Hapo chuma kikateta،
kwa tafaki si hanjari.
وتطايرت الطلقات النارية،

(١) Lorenz , op cit, p 228.

(٢) BAKIZA. Kamusi la Kiswahili Fasaha. Nairobi: Oxford University Press, 2010 , p 272.

(٣) Ibid , p 249.

(٤) Miehe, Gudrun, Katrin Bromber, Said Khamis & Ralf Grosserhode. Kala Shairi: German East Africa in Swahili poems. Cologne: Rьdiger Kцppe, 2002 , p502.

فكم ندم كثير منهم على ذلك!
وأُلقي القبض على ألف منهم،
قبل أن يطلبوا المساعدة.
Viyasi vikatakata،
kamkam walijuta؛
alfu kawakamata،
kabla kusitajiri.[١]

أوضح عبد الكريم جمال الدين أن الثوار كانت عندهم رغبة شـديدة في الحرب من أجل إسقاط الحكومة، ولكي يتخلصوا من الأعباء التي تحملوها. وكان السـلطان العمانـي آنذاك معارضـاً لهذه الحـرب، ربما لعلمه أنها حرب خاسـرة لا محالة، نظراً لعدم تكافـؤ العدة والعتاد بين الطرفين، كما أشار الشاعر في البيتين رقم (٣٢)، (٤١)[٢]، فأراد السلطان أن ينهي هذه الحرب قبل أن تبدأ حفاظاً على أرواح هؤلاء الثوار، فأرسل جنوداً للبحث عنهم فوجدوا بعض الثوار في مرتفعات ماتومبي، وبدأت المواجهة بينهم، فألقوا القبض على ألف من الثوار، وأتوا بهـم إلى الحاكم الألمانـي، كما بينت أبيات القصيدة، وبدأ الحاكم في اسـتجوابهم، وفي أثناء هذا الاستجواب جاء ثلاثة من العبيد يبلغون الحاكم الألماني عن مقـر هؤلاء الثـوار وزعيمهم، فأمر الحاكم جنوده بإلقـاء القبض على الثوار، فحدثت بينهم مواجهات، وكان أول ضحايا هذه المواجهات- كما أشـار مونزي - الزعيم كينجيكيتيلي ومساعده اللذين أُعدما شنقاً في ٤ أغسطس ١٩٠٥م، وخلفه أخوه، واسـتمر توزيع الماء السـحري؛ ولكن دون طائل [٣].

واسـتمرت المواجهـات بين الثـوار والجنود التابعين للألمان وأهل السـاحل الموالين للألمان أيضاً، وانتشرت الثورة في أماكن عديدة، كما أخبر عبد الكريم جمال الدين قائلاً:

استمر القتال لأيام عديدة،
ولأنهم لا يرى بعضهم بعضاً،
وليس لهم مقر،
كان عليهم دائماً أن يتجولوا.
Siku nyingi kapigana،
Sababu hakionana،
Kwani kituo hawana،
Kazi yao kudawiri. [٤]

ولـم يقتصر الأمر على ذلـك، بل وصلت هذه المواجهات إلى مقرات الإرساليات التابعة للألمان فدمروها واسـتولوا على الأمـوال، كما قال عبد الكريم جمال الدين:

عندما وصلوا إلى (منطقة) متوا،
قتلوا الأوروبيين،
وأخذوا أموالهم،
وما كان مع القساوسة.
Walipofika Mtua،
wazungu waliwauwa،
na mali wakachukuwa،
nao tena mapadiri.[٥]

ولما وصلت أخبار تدمير الثوار لمقر الإرسالية إلـى الحاكـم الألماني فـي ٣١ أغسـطس عام ١٩٠٥م، أرسـل إلى الحكومة الألمانية يطلب بعض التعزيزات، فأمر القيصر الألماني بإرسال سفينتين حربيتيـن من الصين ومن المحيط الهندي إلى دار السـلام لإثارة الرعب في قلـوب الثوار[٦]. فكانت هذه التعزيزات إحدى الوسـائل التي أسهمت في القضاء على هذه الثورة العارمة.

(١) Lorenz , op cit, p p 228- 229.
(٢) Ibid , pp 229 – 230.
(٣) موانزي، مرجع سابق، ص ١٧٦.
(٤) Lorenz, op cit, p 241.
(٥) Ibid, p235
(٦) الجمل، مرجع سابق، ص ٢٤٩.

وكانت الأسلحة الأوروبية الحديثة، واستخدام النظم الحربية التي لم يألفها الثوار، عاملاً فعالاً في تشتيت جهود الوطنيين وأرغمتهم على الاستسلام، ولم تكن هناك اشتباكات عسكرية آنذاك بين القوات الألمانية وجموع الثائرين، ذلك لأن الألمان اعتمدوا أساساً على سياسة تدمير المحاصيل، مما ترتب عليه انتشار الدمار والخراب والجوع، وكان هذا دافعاً قوياً وكافياً أجبر الثائرين على إلقاء ما لديهم من سلاح والاستسلام في النهاية[١]، وهذا ما أكده عبد الكريم جمال الدين قائلاً:

أصبح الهمج جيشاً،
ولكن ليس عندهم خبز،
وليس لديهم طعام،
بسبب حالة الفقر.

Washenzi wakajeeshi،
waama hawana eshi،
chakula kwao mafishi،
kwa hali ya ufakiri.

حارب الهمج،
صباحاً ومساءً،
وعندما رأى الآخرون ذلك،
فروا طالبين المساعدة.

Washenzi wakapigana،
subuhi hata mchana;
wangine walipoona،
wakenda kusitajiri.[٢]

بيّن عبد الكريم جمال الدين أنه على الرغم من كثرة عدد الثوار آنذاك؛ فقد أُصيبوا بمجاعة شديدة أتت على الأخضر واليابس، فأصبحوا في حالة يُرثى لها، لدرجة أن الإحصائيات أشارت- طبقاً لما ذكره الجمل وإبراهيم- إلى موت العديد من السكان من الجوع فقط، ناهيك عن مصرع ما لا يقل عن ثلاثمائة ألف وطني شاركوا في هذه الثورة[٣].

وجديرٌ بالذكر أن الشاعر قد عبَّر في الأبيات السابقة عن كثرة عدد الثوار وقوتهم من خلال استخدامه لأسلوب التشبيه البليغ الذي حذف منه أداة التشبيه، قائلاً: Washenzi wakajeeshi، أصبح الهمج جيشاً. وهذه الجملة أصلها: Washenzi wakawa jeshi، فحذف الفعل kuwa، بمعنى يكون أو يصبح، وذلك للضرورة الشعرية، حتى يستقيم وزن البيت. ثم أوضح الشاعر أنهم على الرغم من كثرة عددهم فقد أصيبوا بفقر مدقع، لدرجة أنهم أصبحوا لا يملكون طعاماً ولا نقوداً، ومع ذلك فمنهم من أبلى بلاءً حسناً في الحرب ومنهم من فرَّ مستسلماً. ويلاحظ أيضاً استخدام الشاعر بعض الكلمات المقترضة من اللغة العربية، ليستقيم وزن البيت الشعري؛ مثل قوله jeshi، جيش، وكلمة eshi، عيش أو خبز. وكلمة mafishi، ما في شيء... إلخ. وفي النهاية، استسلم الثوار جميعهم للحاكم الألماني وأُعدِموا شنقاً، كما أخبر عبد الكريم جمال الدين:

كل قائدي الحرب،
تم القبض عليهم جميعاً،
وآخرون سلَّموا أنفسهم،
دون أن يبحث عنهم أحد.

Killa mkuu wa vita،
wote aliwakamata;
wangine wakijileta،
bila mtu kudabiri.

وكل من له اسم (أو صفة)،
لم يسلم قط،
من الإعدام شنقاً،

(١) المرجع نفسه، ص٢٥٠.

(٢) Lorenz , op cit, p 241.

(٣) الجمل، مرجع سابق، ص ٢٥٠.

والآن ساد الأمن والسرور.

Na kila mwenyi jina،
abadani hakupona،
kitanzi alikiona؛
sasa amani sururi.[١]

وهكذا نجح الألمان في إخماد «ثورة ماجي ماجي»، من خلال القبض على جميع القادة وإعدامهم شنقاً، مما يُظهر مدى العنف السياسي الذي مارسه الاستعمار الألماني ضد أهل الساحل الشرقي الإفريقي. وقد أكد عبد الكريم جمال الدين هذا العنف مُصوِّراً إيّاه تصويراً بليغاً؛ من خلال ما قاله على لسان الحاكم الألماني، وذلك على النحو التالي:

شركة (شرق إفريقيا الألمانية) والشرطة،
سينثرون الطلقات النارية،
وسأجعل (الثوار) يتطايرون كالذرة المقلية (الفشار)،

لأظهر لهم قدرتي.

Kompania na polisi،
wakatawanye viyasi،
niwarushe kama bisi؛
niwaonye maqadari![٢]

أوضح البيت الشعري السابق سياسة القمع التي لجأت إليها الحكومة الألمانية، للقضاء على ثورة ماجي ماجي. وقد استخدم الشاعر في هذا البيت تشبيهاً تمثيلياً بيّن مدى شدة العنف المستخدم آنذاك ضد الشعب السواحيلي، حيث قال على لسان الحاكم الألماني niwarushe kama bisi سأجعل (الثوار) يتطايرون كالذرة المقلية، مشبهاً تطاير قتلى الثوار بتطاير الذرة المقلية، مما يدل على كثرة عدد القتلى آنذاك والدمار الناتج عن كثرة إطلاق الأعيرة النارية، وهذا التشبيه التمثيلي نفسه استخدمه أحد شعراء جزيرة «لامو»؛ مصوِّراً ما ارتكبه البرتغاليون من قبل في حق أهل الساحل من تخريب ودمار قائلاً:

أتيتُ إلى سفن البرتغاليين العملاقة،
لأسألهم بأي ذنب تدمرون الناس،
عجباً لمدافعها إنها تصدر أصواتاً قوية كالذرة المقلية (الفشار)،
فالسفن لا تبحر اليوم، لوجود شخص محب للنزاع في المحيط.

Kwa manuwari nijiye، njema dha Por'tugesi
Nivavudhe hatiaye، ya kuharibu unasi،
Ajabu nda midhingaye، yavalika kama bisi،
Eo dhombo hadhibisi، ntimbi u baharini.[٣]

كُتبت هذه الأسطر الشعرية السابقة في فترة الاستعمار البرتغالي بلهجة Kitikuu، وهي إحدى لهجات اللغة السواحيلية، ويُتحدث بها في شمال جزيرة لامو[٤].

ويبدي الشاعر دهشته في السطر الثالث من البيت السابق؛ بسبب أصوات القذائف المتلاحقة التي تطلقها مدافع البرتغاليين، مصوبين إياها على صدور السواحيليين ومنازلهم، مشبِّهاً ذلك بصوت الذرة المقلية الذي لا يتوقف، وفي ذلك إشارة واضحة لحجم الدمار والتخريب المستمر والهائل الذي لحق بأهل الساحل الشرقي الإفريقي

(١) Lorenz , op cit, p 242.

(٢) Ibid, p 231.

(٣) Chiraghdin, Shihabuddin & Mnyapala, Mathias. Historia ya Kiswahili. Nairobi: Oxford University Press, 1978, p 49.

(٤) Ibid.

جـــراء قصف البرتغاليين لهم من قبل. فربما يكون التشبيه المســـتخدم في البيتين الســـابقين توارد أفكار بين الشاعرين، ولكنه إن دلَّ على شيء فإنما يـــدل على حقيقـــة واحدة لا مراء فيهـــا، وهي أن المســـتعمر الألماني قد اتبع سياسة القمع نفسها التي اســـتخدمها المستعمر البرتغالي من قبل ضد أهل الساحل.

ثالثاً: مرحلة ما بعد ثورة ماجي ماجي (١٩٠٧م-١٩١٨م):

وبعد إخماد الثورة؛ انقســـم أهل الساحل إلى فريقين؛ منهم مؤيِّد وآخر معارض، أما المؤيد فلم يعلن تأييـــده خوفاً على حياته، وأما المعارض فقد نظر إلـــى الثورة على أنها كانت ســـبباً في الدمار والمجاعة التي حلّت بهم آنذاك[١].

ومـــن ثم نجد من هـــؤلاء المعارضيـــن للثورة شـــعراءَ سواحليين نظموا شـــعراً في مدح الألمان وتمجيدهم، منهم الشاعر خميس بن أوي Hamisi bin Auwi، مـــن أوجيجـــي Ujiji، غرب تنزانيا، والـــذي نظم قصيـــدة «القيصـــر» Utenzi wa Kaisari، المكونة من ٢٧ بيتاً، مدح فيها إمبراطور ألمانيا. والشاعر محمد حسن Muhamadi bin Hasani، من جزيرة كيلوا، الذي نظم شـــعراً لمدح الألمـــان Shairi la Majermani، مكوناً من ١١ بيتاً. والشـــاعر ناصر بـــن حاليف Nasoro bin Halef، من مدينة ليندي، الذي نظم شـــعراً لمدح «القائد الألماني» السيد العظيم «فيسمان» Shairi la bana mkubwa Wismani، مكونـــاً من ١٥ بيتاً. وهذه القصائد وغيرهـــا الكثير أوردها كارل فيلتن في كتابَيه، وهما: (النثر والشعر السواحيلي)، وكتاب (الدراسات الإفريقية)، سالفَا الذكر.

أما المســـتعمر الألماني في هذه المرحلة؛ فقد أكره الشـــعب الســـواحيلي علـــى التعايش الإجباري معه، فنجح فـــي ذلك، ومن ثم هدأت المســـتعمرات الألمانية في شرق إفريقيا، وبدأ المســـتعمر في إعادة النظر في سياسة العنف التي كانت مســـتخدمة قبل الثـــورة، كما أخبر الشاعر مواروكا قائلاً:

كل مكان في تنجانيقا،
انتهت فيه الحروب،
وتمسك الألماني،
بالحماية مهيمناً (على البلاد).
Kila pande Tanganyika،
Vita vikamalizika،
Na Mdachi akashika،
Kutamalaki himaya.
حينئذٍ فإن الحكومة (الألمانية)،
قد قامت بتغيير،
قوانين العنف،
وألغتها بالكامل.
Ndipo tena Serikali،
Ikafanya kubadili،
Sheria za ukatili،
Zote zikaondolewa.[٢]

مثّلت ثورة ماجي ماجي نقطة تحول وتغيير في كل المجالات، حيث جعلت الحكومة الألمانية تعيد النظر في سياسة العنف التي طبقتها قبل الثورة، وأجبرتهـــا على إحداث تغيرات جوهرية في نظام الحكم بالإضافة إلى قيام الســـلطات الألمانية برسم سياسة تنمية طويلة الأجل أُطلق عليها «الاستعمار العلمي»، لكن هذه السياسة لم تحقق الثمار المرجوة منها؛ بسبب قيام الحرب

(١) Gwassa, G.C.K. Kumbukumbu za Vita vya Maji Maji. Nairobi: East African Publishing House, 1967 , pp 35- 36.

(٢) Mwaruka, op cit, p22.

العالمية الأولى وضياع المستعمرات الألمانية[١].

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى شنت قوات الحلفاء هجوماً على المستعمرات الألمانية المجاورة واحتلتها، فطُرِد الألمان من الساحل، كما أشار الشاعر موارِكا قائلاً:

انصتوا بعد ذلك،
فلقد طُرِدَ الألماني،
وجميع أملاكه في البلاد،
تنازل عنها.
Baadaye pulikeni،
Kalemewa Jerumani،
Miliki yote nchini،
Ikawa kuiachia.
وسنوات عهده،
تقريبا ثلاثون (عاماً)،
(حتى) غادر الحماية،
دون أن يحقق رغبته.
Na miaka ya enzini،
Takriban thelatheini،
Kaondoka himayani،
Pasi hamu kumwishia [٢]

ظهر من خلال البيتين السابقين أنه لما هُزمت ألمانيا في هذه الحرب تقرر حرمانها من جميع مستعمراتها كعقوبة لها، واستولت عصبة الأمم على هذه المستعمرات- كما أكَّد ذلك الجمل وإبراهيم- وعهدت بإدارتها للدول المنتصرة في ظل ما يُسمى (نظام الانتداب)، وبمقتضى هذا النظام وُضِع الساحل الشرقي الإفريقي (تنجانيقا) تحت الانتداب البريطاني[٣]. ومن ثم كانت نهاية الاستعمار الألماني لساحل شرق إفريقيا.

الخاتمة:

عرضت في هذه الدراسة لوجود الألمان على الساحل الشرقي الإفريقي كما صوره الشعر السواحيلي، وكيف سجَّل الشعر الأحداث التاريخية المهمة التي جرت خلال هذه الفترة بكل دقة ووضوح، مُقسّماً إياها إلى ثلاث مراحل تاريخية: مرحلة ما قبل ثورة ماجي ماجي، ومرحلة الثورة، ومرحلة ما بعد الثورة.

وقد خرجت هذه الدراسة بالنتائج الآتية:

١- استمر الوجود الألماني على الساحل الشرقي الإفريقي أربعة وثلاثين عاماً (١٨٨٤-١٩١٨م)، سجَّل الشعر السواحيلي خلال هذه الفترة أحداث انتفاضتَين هما: انتفاضة أبوشيري وانتفاضة مكواوا زعيم قبيلة أوهيهي، فضلاً عن ذكر بعض الزعماء المناضلين مثل إيسيكي؛ زعيم قبيلة وانياموزي، وميلي؛ زعيم قبيلة واتشاجا، ثم سجَّل أحداث ثورة ماجي ماجي بكل تفاصيلها.

٢- أوضح الشعر السواحيلي أن الألمان اتبعوا سياسة الحصار والقمع لإخماد هاتين الانتفاضتين والثورة، وهي السياسة نفسها التي اتبعها البرتغاليون من قبلهم.

٣- بيّن الشعر السواحيلي أنه بعد القضاء على ثورة ماجي ماجي اضطرت الحكومة الألمانية لإعادة النظر في سياسة العنف التي كانت مستخدمة قبل الثورة.

٤- أسهم الاستعمار الألماني للساحل الشرقي الإفريقي في نهضة الشعر السواحيلي، نظراً لكثرة القصائد الشعرية التي تناولت أحداث هذه الفترة.

٥- قد يرجع سبب انتشار قالب أوتنزي، في جل القصائد التي عرضت لموضوع الدراسة، إلى سهولة نظمه ومناسبته لموضوع هذه القصائد ■

(١) الجمل، مرجع سابق، ص ٢٥٣.

(٢) Mwaruka, op cit, p24.

(٣) الجمل، مرجع سابق، ص ٢٥٨.